الثورات العربية والاسلام السياسي

12/07/2011

في ظل هذه الثورات الشعبية المنتفضة في وجه االستبداد وخوفا الحركات إلسالمية وركوبها لهذا ً من صعود اننا أمام كتل جماعية ذات

الحراك، وخصوصا ميول ايمانية عقائدية. فإن االستيالء على المجهود الالواعي لدى ً

أفراد المتلخص بهذه االنتفاضات، من قبل إلسالم السياسي هو في الوارد. وذلك لضبابية الرؤية السياسية عند هذه من هنا أرى أن محاولة تعرية هذه الحركات التي تشكل .الشعوب ولعدم امتالكها أية نظم سياسية واضحة المعالم خطرا على مجتمعاتنا خاصة وعلى الفكر إلنساني بوجه عام، هي لحاجة ملحة، فهي) أي تلك الحركات(هادمة ً

ً للحضارات إلنسانية وحارقة لكل منتوج علمي، رغم ادعائها الباطل بحماية العلم و

.االختالف والفرد معا

ً على إلسالم نفسه، بل على

محاوالتنا الهادفة لتعرية الوجه لحقيقي لهذه الحركات إلسالمية المتشددة ليس هجوما

العكس هي رغبة في تحرير إلسالم من جذوره ومنابعه القبلية كي يستطيع التماشي مع حركة التاريخ ومعطياته ضا العربية-إلسالمية التي تحمل في طياتها إدراك معين ً المتجددة. ولربما وجب علينا أي أن نقوم بدراسة للشخصية ووعي لواقع تجاوزها. ومع أن هذه الشخصية العربية-إلسالمية موزعة على مجتمعات عدة، وأن الموروث الجماعي لهذه المجتمعات يختلف عن بعضه البعض وذلك الختالف الهيكلة االجتماعية بين مجتمع وآخر، إال أن هذه

المجتمعات جميعها أصيبت بعلل وأمراض متقاربة ومتماثلة أحيانا، فالمؤثرات هي واحدة تتمركز بشكل أساسي في .عاملين موحدين، الدين واللغة، والتي تحت سقفهما تجتمع كل المجتمعات العربية

وقد يكون من الضروري قبل ذي بدء أن نقوم بتسليط الضوء على أثر اللغة عند أفراد الجماعات وآلية توحيد إلدراك فنحن نعلم أن اللغة لها التأثير الفعال النافذ لتقارب أفراد، فهي تحمل في طياتها تجارب وخبرات تتناقلها .فيما بينهم أجيال عن طريق العبارات والمفردات المتداولة، وكما نعلم أن النماذج المختزنة في الذاكرة تأتي إما من مخزون

ً بصري أو من مخزون شفهي بمشاعر وأحاسيس

.والممزوجة أحيانا

لقد استطاع إلنسان تدوين عباراته منذ اختراعه الكتابة وبذلك استطاع تدوين سلوكياته ليتم تسجيلها في الذاكرة الجماعية معلنة عن نفسها من خالل العادات التي نشأت من جراء آلية غربلة جماعية لتجارب وخبرات فردية، فيؤخذ منها ما يتماشى مع البيئة الخارجية ويطرح ما هو غير مالئم، وهكذا تتحول هذه التجارب إلى قوانين وأخالق جماعية

.تفرض على اأفراد

ما يحاول اإلسالم فعله أو باأصح ما حاوله عبر قرون عديدة،)طبعا يختلف اإلسالم عن اأديان اأخرى في ً ال محاولته زرع أو غرس صورا صحيحة، إال أننا اليوم بصدد الحديث عن اإلسالم تخصيصا كونه يشكل ً عقلية غير عامالً اقصائيا لآخر المغاير، ما ال تشكله اأديان اأخرى في هذا العصر، حيث إنها لعبت نفس الدور في وقت أكثر روحانية يتالئم مع الطبيعة النفسية لكل

ً

مضى قبل أن يتم اقصائها عن الهيكلة السياسية لتجبر على أخذ طابعا

فرد، أي أن الهدف هو إعادة اأديان واآللهة إلى منبعها اأول وهو المنبع النفس لإلنسان(هو خلق تمثيالت عقلية تمنح الفرد الرضى النفسي في واقع مؤلم مليئ بالحرمان وعدم االكتفاء. لهذا يتوجب علينا النظر إلى مادة التاريخ المقررة في مدارس البلدان العربية ذات الثقافة اإلسالمية، مع أأخذ بعين االعتبار نسبة التفاوت فيما بينها حيث نجد أن مادة التاريخ قائمة بحد ذاتها على االعتماد المقصود والموجه لخلق تصورات النتصارات إسالمية مع اضفاء شعور التفوق والتميز لدى المسلم على اآلخر المختلف، وهذا يلخص بعبارة بسيطة يستخدمها كل مسلم " الحمد هلل .على نعمة اإلسالم". هذه العبارة تحمل في طياتها صيغة تمييزية ضد اآلخر وشوفينية واضحة

ال شك أن معاناة المسلم من واقعه وشعوره باإلحباط المتكرر الناتج عن نقص القدرة على االنتاج والعطاء اإلبداعي ً إلدراك داخلي محدود

.والحضاري ومشاركة اآلخرين من أبناء المجتمعات أخري المختلفة عنه، تجعله سجينا

أعيد وأكرر أن المشكلة ليست في الدين اإلسالمي بالتحديد، بل نرى ان هذه االشكالية هي نواة اأديان جميعها القائمة على حرمان الفرد من أبسط اكتفاءاته الجسدية، ليقوم الدين بتأطير الفرد داخل قوقعة يتمكن رجال الدين من خاللها في .نشر نفوذهم على الجماعات واأفراد

وال بد لي من التنويه أن أغلبية اأديان والعقائد تعتمد على إلغاء ما سبقها، بعدما أن تبنت جميع اأفكار التي وجدت من قبلها، لتضفي على نفسها صفة المخلص أو النور أو المعرفة. وهذا ما نراه بشكل واضح وعلني عند وصفبذلك كل اإلسالم لكل ما سبقه بالجاهلية في شبه الجزيرة العربية ناسفا انه نفسه صنيعة ً

معرفة تمت من قبله متجاهالً

ذاك التراث. وال شك أن شعور الفخر النتماءاتنا هو لناتج عن عملية التبجيل لنواتنا المركزية أنوية، فنجد أن الفرد يميل لالعتراف إلى كل ما يشابه تركيبته الثقافية والنفسية ويميل لمناقضة ونفي كل ما ال يشبهه أو يعرفه، وهذا ما نلقبه باإلدراك، فزيادة اإلدراك وتوسعه يعتمد على مبدأ االكتساب لكل ما هو غريب عن الفرد، فتشنج اأفراد

.لمعارفهم وثقافاتهم ومعتقداتهم متعلقة بما يسمى بالتلقين المشروط

عودة إلى التمثيالت العقلية المستمدة من تاريخ قد تم تحريفه وتم تلقينه إلى أألطفال من خالل المناهج الدراسية، أو من خالل أماكن العبادة أو المتأتية من الثقافة العامة للمجتمعات المتأسلمة. فإننا نجد وحسب الدراسات العصبية أألخيرة التي تطرقت لتفسير آلية تخزين هذه التمثيالت التي تختزن في ذاكرتنا الطويلة الجماعية وذلك من خالل تكرارها ً بشكل دائم حتى تصبح مطلقة ال يجوز الجدال فيها، وال يمكن التطرق لمجرد البحث عن

ركائزا صحتها، بل ً وأسسا

أعمدة سلوكياتنا

ً

.أكثر من ذلك تصبح أيضا

إن التمثيالت العقلية المسجلة والمختزنة في الذاكرة الجماعية لها أثرا كبيرا في توجيه اإلدراك وتبني سلوكيات معينة ضمن خطوط رسمت لألفراد، وهنا نجد أن الثقافة اإلسالمية اعتمدت على تجريد الشعوب المتأسلمة من تاريخها، لتجعل نفسها نقطة البداية للمعرفة والعلوم نافية بذلك العطاء اإلنساني السابق لها. محاولة بذلك ايجاد خط واحد آللية التحكم بأفراد أكثر يسرا. طبعا في هذا ً التفكير وبالتالي تكون قدرة هناك الكثير الذي يمكن أن يقال ويبحث به .المجال، إال ان مساحة المقال ال يمكنها إعطاء كل مايجب إعطائه